بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد، ، ،

فإن هذا الكتاب يعالج قضية من قضايا الأمس واليوم والغد، ومسألة من مسائل العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما أنه يبرز جانبًا من الجوانب الحضارية للإسلام، وخاصة في معالجة ومناقشة المخالفين في الدين من أهل الكتاب.

إن الإسلام دين يدعو إلى الإيمان بالله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، من خلال الحوار الهادف القاصد للإصلاح والهداية، والفكر الفاهم الواعي المدرك للحقائق المرتكز على القواعد الإيمانية، والجدال الملتزم بالآداب الإسلامية، بل إن المعاملة بالرفق، والمجادلة بالحسنى مطلوبة حتى مع تعنت المخالفين من أهل الكتاب، وتهافت آرائهم، وفساد حججهم، وبطلان اعتقادهم، إلا إذا اعتدوا، وظلموا، وأساءوا.

وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل :١٢٥]. أي بالطريقة التي هي أحسن طرق

المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف [١]. (أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب. فأمر الله تعالى رسوله بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون) [٢] في قوله ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه :٤٤] .

إن رسول الله ﷺ أمر أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة ولا تعنيف [٣] .

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت :٤٦] فأفرطوا في الاعتداء والعناد، ولم يقبلوا النصح، ولم ينفع فيهم الرفق. فاستعملوا معهم الغلظة [٤] .

قال مجاهد وسعيد بن جبير: قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البقرة :١٥٠] معناه إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية [٥] .

إن هدف هذا الكتاب يدور حول إبراز مبادئ وأسس الإسلام في حواره مع غير المسلمين، وإبعاد تلك الصورة المشوهة التي رسمها أعداء الإسلام، حيث اتهموا ورموا المسلمين بالقسوة والعنف، والسيف،

---

(١) الزمخشري: الكشاف ج ٢ ص ٢٣٥ . ط الحلبي ١٣٩٢ هـ القاهرة.
(٢) ابن كثير تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٩١ ط الحلبي القاهرة.
(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٠٠، الهيئة العامة للكتاب ط. ثانية ١٩٨٧ م. القاهرة.
(٤) الكشاف ج ٣ ص ٢٠٨ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٣٥١، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤١٦ .

والتشدد، والتصلب إزاء الرأي المخالف، وإكراه أصحابه على الإسلام.

إن تلك الصورة البغيضة الممقوتة التي روجها المفترون، واتهموا المسلمين بها غير صحيحة، ولا أساس لها من الصحة، والحقيقة، والواقع، والتاريخ.

كما أنه يهدف أيضًا إلى بيان أن المبادئ الإسلامية في معاملة ومجادلة أهل الكتاب ليست بعيدة عن أرض الواقع، وأنها ليست مجرد مبادئ لا تخضع ولا تقبل التطبيق. وإنما هي نظام تعامل التزم به النبي ﷺ وطبقه في حواره مع نصارى نجران. وكذلك الصحابة، ومن بعدهم.

وسوف نرى من خلال ما أوردناه في هذا الكتاب كيف عامل النبي ﷺ نصارى نجران؟ وكيف جادلهم وناظرهم؟

إن معالجة النبي ﷺ للمواقف التي تعرض لها مع نصارى نجران تحتاج إلى تأمل وفهم، كما أنها تحتاج إلى وعي بحقيقة الأسس الإسلامية في مناقشة أهل الكتاب.

وقد قسمت الكتاب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: خصصته للحديث عن وفود نصارى نجران التي كانت تفد على رسول الله ﷺ وتناقشه وتجادله. وناقشت اختلاف الروايات في شأن مجيئها. ثم تحدثت عن المشاورات التي دارت بين نصارى نجران بشأن كتاب النبي ﷺ إليهم ثم أشرت إلى ما حدث أثناء توجه بعض الوفود إلى رسول الله ﷺ من اعتراف كبيرهم بصدق النبي وصحة رسالته، وما في هذا من دلائل مستفادة. وناقشت تبعًا لهذا موضوع علم أهل الكتاب ببعثة النبي ﷺ، وأوردت بعض النماذج الدالة على هذا،

وبحثت قضية أن شهادة أهل الكتاب بصدق النبي ﷺ هل تعني دخولهم في الإسلام؟

ثم بينت الأسباب المانعة من اتباع أهل الكتاب الحق رغم علمهم به، ومعرفتهم بصحة وصدق النبي ﷺ.

ثم تحدثت بعد ذلك عن هيئة بعض الوفود، وأنهم دخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده عليهم ثياب الحبرات. جبب وأردية في جمال رجال بني الحارث.

وأشرت إلى كيفية معاملة النبي ﷺ لهم، وأنه سمح لهم بالصلاة في مسجده. **وناقشت على أثر ذلك موضوعين:**

* **الأول:** معاملة الرسول ﷺ لوفود الكفار ورسلهم.

الثاني: حكم دخول أهل الكتاب والمشركين المساجد، وهل يجوز لهم الصلاة فيها؟

أما الفصل الثاني: فكان عن مجالس الجدال والمناظرات.

بينت أولاً معنى الجدل، ومعنى المناظرة، والفرق بينهما. ثم تحدثت عن أمر الله لرسوله ﷺ بأن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام، وأن يجادلهم إن استدعى الأمر. وبحثت موضوع: هل نسخت آيات الجدل بآيات السيف؟ وأوردت في هذا آراء العلماء، والرأي الراجح وأدلته.

ثم أشرت بعد ذلك إلى الوفود التي شهدت مجالس المناظرات، وبينت أن اليهود حضروا بعضها. بل وتدخلوا في المناقشات، ولم يخل الأمر من مناظرات بينهم وبين وفد نصارى نجران حتى ارتفعت أصواتهم. كل فريق يكفر بما في يد صاحبه ويدعى أنه على الحق ولن يبرحه!!

كما لم يخل الأمر من بث اليهود لأحقادهم، وإظهار مكائدهم أثناء

حضورهم لبعض جلسات المناظرات.

ثم تحدثت بعد ذلك عن موضوعات المناظرات، وبينت كيفية استنباطها من الروايات وختمت الفصل بالحديث عن أمرين:

الأول: هل تجوز المباهلة إلى اليوم؟ وما كيفيتها؟ وما شروطها؟ وما الذي يترتب عليها؟

الثاني: دعوة القرآن لأهل الكتاب إلى الحق الواجب اتباعه ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

أما عن منهجي في هذا الكتاب فيتلخص في جمع الروايات المتناثرة، وتصنيفها، وتحليلها، والتعمق في محتوياتها، والتعليق عليها، ومناظرتها بغيرها، ومناقشة الموضوعات المتعلقة بها.

والحق أن هذا الكتاب أخذ مني جهدًا كبيرًا، ووقتًا طويلاً. خاصة وأنه لم يكتب في هذا الموضوع - حسب علمي - بحث مستقل، بالإضافة إلى تناثر رواياته في كتب السيرة، والدلائل، والتفسير، والتاريخ، واقتصار الكتاب على إيرادها دون تحليل، أو دراسة لها، وبحث ما فيها من موضوعات.

أرجو أن أكون قد وفقت، وقدمت إلى المكتبة الإسلامية كتابًا هي في أمس الحاجة إليه.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.